

الباب الثالث

حى القصور والسفارات

obeikandi.com

جاردن سیتی .. البداية مع إبراهيم باشا

تخطيط المدن مذاهب ومدارس . منها ما يتم على أساس مربعات أو مستطيلات . . وهذه المدرسة أوضح ما تكون في المدرسة الأمريكية لهندسة المدن ، وخير مثال لها مدينتا نيويورك وواشنطن .

وهناك المدرسة التي تأخذ بأسلوب الدوائر وتعتبر المدرسة الانجليزية رائدة في هذا الأسلوب .

واتباع هذين الأسلوبين أو أحدهما يتم فقط عند إنشاء مدينة جديدة أو ضاحية جديدة . أما في المدن القديمة فكان التخطيط يعتمد على توزيع الشوارع والمساكن حول الوسط الحكومي .

وفي مصر اتبعنا أكثر من مدرسة . مرة اتخذنا أسلوب المربعات والمستطيلات . . وجاء هذا واضحاً في وسط القاهرة بين ميداني التحرير وباب اللوق وحتى شارع ٢٦ يوليو . . ونلاحظ فيها تقاطع مربعات وشوارع شريف وسليمان ومحمد فريد . ثم شوارع ثروت وعدلى وقصر النيل وهكذا . وتكررت نفس المدرسة تقريباً في تخطيط ضاحية مصر الجديدة في بداية القرن العشرين . . وفي مدينة نصر في النصف الثاني من نفس القرن . .

*** وفي مصر أيضاً اتبعنا المدرسة الانجليزية في تخطيط المدن وجاء هذا واضحاً في ضاحية المعادى . . ثم أكثر وضوحاً في جاردن سیتی . وهذا الأسلوب يعتمد على التخطيط الدائري الذي يبدأ ثم ينتهي على شكل شوارع دائرية . . وهناك مدرسة تعتمد على إنشاء محاور رئيسية تقاطع أو تتعامد عليها باقى شوارع المنطقة . وهذا

واضح في مصر الجديدة بالذات . . واتبعنا نفس مدرسة المربعات في الجزء الجنوبي من جزيرة الروضة .

*** وبالنسبة لحي جاردن سيتي نقول إن كل الأرض التي أقيم فوقها هذا الحي كانت إما غرب النيل - وليس في شرقه كما هي الآن - وإما كانت تحت مجرى النيل نفسه . . سواء أيام بداية الفتح الإسلامي وحتى في العصر الأيوبي والمملوكي الذي كان فيه مجرى النهر يسير في نفس مسار شارع قصر العيني الحالي وميدان التحرير وشارع ٢٦ يوليو !!

*** وجاء عصر أسرة محمد علي باشا الكبير إذ اختار أفراد هذه الأسرة هذه المنطقة لينبوا فيها القصور الضخمة ، وكان أولهم الفاتح إبراهيم باشا الذي بنى « القصر العالي » الذي كان يحده النيل غربًا ويصل جنوبًا إلى شارع قصر العيني . وشمالًا إلى ميدان الشيخ يوسف . .

*** وفي أواخر عام ١٨٦٣ تنازل الخديو إسماعيل - بن إبراهيم باشا - لوالدته - والدة باشا - عن القصر العالي هذا مع الأراضي الملحقة به . وطبقًا لصك التنازل تم تحديد القصر ومساحته غربًا بساحل النيل وشرقًا بالطريق الموصل إلى بولاق ومصر القديمة « أي شارع قصر العيني » وجنوبًا بالطريق الفاصل بين أرض القصر العالي وقصر النيل ، وشمالًا قصر أخيه أحمد باشا . .

*** في أغسطس ١٨٧١ م أصدر إسماعيل باشا أمرًا بكتابة حجة « مستند تملك » باسم زوجته الثالثة لبناء سراي جديدة هي سراي الإسماعيلية في المنطقة الواقعة في جزيرة العبيط !! التي كان حدها الشرقي طريق كوبري قصر النيل - أي شارع الخديو إسماعيل - والقبلي جنينة المرحوم أحمد باشا ، والشرقي طريق الشيخ يوسف الموصل إلى القصر العالي ، ومصر القديمة . والغربي البحر الأعظم .

من هذا يتضح أن جاردن سيتي كانت عبارة عن ثلاثة قصور كبيرة جميعها تطل على النيل غربًا ولكل منها حديقة كبيرة هي : القصر العالي ، وقصر أحمد باشا « أخو » الخديو إسماعيل ، وسراي الإسماعيلية التي تكلفت وحدها ٢٠١٢٦٠ جنيها . وموقع هذه

السراى الآن : مجمع التحرير وما أمامه من حدائق حتى شارع كوبرى قصر النيل .
أما سراى وزارة الخارجية فكانت قصرًا للأمير كمال الدين حسين ابن السلطان
حسين كامل .

أحمد باشا رفعت مات غريقًا فضاء منه عرش مصر !

هو الإبن الأكبر للقائد الفاتح إبراهيم باشا ، كبر وترعرع فى عز جده محمد على باشا
ومجد والده إبراهيم باشا . اسمه أحمد رفعت . . وهو الأمير الذى مات غرقًا فى حادث
غريب عند كفر الزيات . أما الأخ الثانى له فكان إسماعيل باشا الذى أصبح واليا على
مصر وحمل لقب الخديو . .

وجدة أحمد رفعت لأبيه هى أمينة هانم بنت على باشا الشهير باسم « مصر لى » التى
تزوجها محمد على باشا وحضرت إلى مصر ومعها ٢٠٠٠ رجل حمل متاعها وخدمها . .
وأحمد رفعت كان أحد الذين أرسلهم جده محمد على ضمن البعثة الكبرى ١٨٤٤
إلى فرنسا ، وكان بين سبعين تلميذًا اختارهم سليمان باشا الفرنساوى . وكان أحد
أربعة أمراء : اثنان من أبناء محمد على هما الأمير عبد الحليم والأمير حسين . واثنان من
أبناء إبراهيم هما أحمد رفعت هذا وإسماعيل باشا ، وكان ممن سافر معهم فى نفس
البعثة : محمد شريف باشا . على مبارك باشا وحسن أفلاطون باشا . .

*** وعند تشكيل أول مجلس للشورى فى مصر تحت اسم « مجلس المشورة » برئاسة
إبراهيم باشا فى سبتمبر ١٨٢٩ وضم ١٥٦ عضوًا من العلماء والأعيان والموظفين
ومأمورى الأقاليم ، كان بين أعضائه الأمير أحمد رفعت بن إبراهيم باشا . . وقد عقد
هذا المجلس جلسته الأولى بالقصر العالى الذى أنشأه إبراهيم باشا فى جاردن سيتى .
وكان أفخر قصورها . .

*** وقد عين أحمد رفعت مأمورًا للأقاليم الوسطى . ثم عينه عمه الوالى سعيد باشا
فى منصب الكتخدا فى عام ١٨٥٤ م ، وهو منصب يعادل نائب الحاكم ثم عين كأول
ناظر « وزير » للداخلية فى مصر فى عام ١٨٥٧ م . وذلك فى بداية عهد مصر



الأمير أحمد باشا رفعت وهو الإبن الأكبر لإبراهيم باشا وكان ولي عهد عمه سعيد باشا ومات غريقاً في
حادثة كفر الزيات وبهذا وصل إسماعيل باشا إلى حكم مصر

بالنظارات أى الدواوين « الوزارات » أى عام ١٨٥٧ م . ثم أصبح وليًا للعهد لعمه سعيد باشا .

*** فى حادث غريب ومثير لقي أحمد باشا مصرعه عند كفر الزيات فى حادث انقلاب القطار الذى كان يركبه فى النيل ليتبدل نظام ولاية العهد ويصبح أخوه إسماعيل - بعد وفاة العم سعيد - وليًا على مصر .

*** وقد بنى أحمد رفعت باشا قصرًا فخماً فى جاردن سيتى غير بعيد عن قصر والده إبراهيم باشا المعروف بالقصر العالى . وكان أقرب ما يكون إلى قصر أخيه الخديو إسماعيل « سراى الإسماعيلية » . وكان شارع عائشة التيمورية هو الحد الفاصل بين القصر العالى لإبراهيم باشا وقصر أحمد باشا أخى الخديو إسماعيل ، ومازال فى جاردن سيتى شارع يحمل اسم شارع القصر العالى . وأيضاً شارع باسم الوالدة باشا زوجة إبراهيم باشا وأم الخديو إسماعيل والأمير أحمد رفعت .

*** وقد أنجب أحمد باشا ولدين أحدهما إبراهيم على اسم والده الذى أنجب محمد وحيد الدين الذى أنجب الأمير محمد على إبراهيم والثانى هو أحمد كمال رفعت الذى أنجب الأمير يوسف كمال الذى ترك قصوراً رائعة فى الوجهين البحرى والقبلى وعزف عن الحكم .

*** وقد رعى الخديو إسماعيل أبناء أحمد باشا فزوج ابنه الأمير حسين - السلطان حسين كامل فيما بعد - من الأميرة عين الحياة بنت الأمير أحمد رفعت باشا وذلك ضمن احتفالات « أفراح الأنجال » الشهيرة .

*** ومات الأمير ولى العهد أحمد رفعت . . واندثر القصر العظيم الذى بناه ولم يبق منه إلا اسم على شارع فى جاردن سيتى هو شارع أحمد باشا الذى يقع على قمته قصر محمد فؤاد سراج الدين باشا زعيم حزب الوفد .

قصر الدوبارة .. والأميرة أمينة حرم الخديو توفيق :

*** فى جاردن سيتى كان أشهر ما فيها « قصر الدوبارة » . . ليس بسبب القصر الذى كان موجوداً . . ولكن بسبب وجود السفارة البريطانية منذ كانت داراً للحياة



إبراهيم باشا إلهامي صاحب قصر الدوبارة . . وهو ابن عباس حلمي الأول ووالد الأميرة أمينة زوجة
الخديو توفيق وهي والدة الخديو عباس حلمي الثاني .

على مصر . وكان الحكم الفعلى فى مصر لقصرين هما قصر عابدين حيث مقر الحكم الرسمى لأبناء أسرة محمد على منذ عهد إسماعيل . . وقصر الدوبارة حيث المندوب السامى البريطانى أو المعتمد البريطانى . . أو السفير البريطانى . . فما هى حكاية . . قصر الدوبارة هذه ؟

*** هو قصر الأميرة أمينة بنت إلهامى بن عباس حلمى الأول ، وهى زوجة الخديو توفيق بن إسماعيل ، ووالدة عباس حلمى الثانى الذى عزله الانجليز عن حكم مصر عام ١٩١٤ م . وكانت هذه الأميرة تعرف بلقب « أم المحسنين » وهى من ضمن الذين احتفل بزواجهم خلال احتفالات « أفراح الأنجال » أيام الخديو إسماعيل .

وكان موقع هذا القصر فى المربع الذى يقع فيه الآن فندق شبرد الجديد على كورتيش النيل . ويطل غرباً على النهر ، ومن الجنوب الشارع الذى يفصله عن السفارة البريطانية والذى كان يعرف بشارع لاط أوغلى . وشرقاً الشارع الذى يفصله عن السفارة الأمريكية . وكان اسم هذا الشارع شارع والدة باشا ، وهو الشارع الذى يحمل الآن اسم : شارع أمريكا اللاتينية . . وشالاً الشارع الفاصل الآن بين فندقى شبرد وسميراميس .

*** وشارع والدة باشا أطلق عليه هذا الاسم بعد أن تنازل لها ابنها الخديو إسماعيل عام ١٨٦٣ عن القصر العالى الذى بناه زوجها القائد إبراهيم .

وغرب مبنى وزارة الخارجية القديم ، كان هناك قصر تمتلكه السيدة قوت القلوب بنت عبد الرحيم باشا الدمرداش . وقد هدم هذا القصر لتوسعة ميدان كوبرى قصر النيل ، وكان هذا الميدان يحمل اسم إلهامى (ابن عباس حلمى الأول) أى والد الأميرة أمينة صاحبة قصر الدوبارة الذى نتحدث عنه الآن . .

*** وفى منتصف الأربعينيات بيعت منقولات قصر الدوبارة فى مزاد علنى . وبعد هدم القصر قسمت أرضه فبنيت عليها عمارتا إيزيس وأزوريس فى الجزء الجنوبى من الأرض . وبعد حريق القاهرة يوم ٢٦ يناير ١٩٥٢ واحتراق فندق شبرد القديم الذى

كان يقع قرب الأزيكية ، تم بناء فندق شبرد الجديد على جزء من أرض هذا القصر في
الواجهة المطلة على النيل . كما أنشئ مبنى لوزارة الصناعة شرقى الفندق .

✻✻ وخلال النضال السياسى ضد الاحتلال البريطانى ، كانت المظاهرات تتجه إلى
قصر الدوبارة حيث مقر السفارة البريطانية ... وللأسف انتهى اسم القصر الحقيقى
.. وانتهى اسم إلهامى باشا من الميدان الذى كان يحمل اسمه لنضع عليه - وبالغربة
- اسم سياسى من أمريكا اللاتينية هو « سيمون بوليفار » بل ونضع له تمثالا يتوسط هذا
الميدان . وإذا كان بوليفار قد حرر الكثير من دول أمريكا اللاتينية إلا أنه انتهى إلى
دكتاتور ، حتى اضطر للاستقالة ومات مكروها من مواطنيه بينما ساسة مصر العظام
بلا تمثيل تنصب لهم .. ولا شوارع تحمل ذكراهم للناس !!

✻✻ وواضح أن المنطقة كانت ملكا لهذا الفرع من أسرة محمد على . إذ تحتل وزارة
الخارجية فى هذا المنطقة قصر الأمير كمال الدين حسين ابن السلطان حسين كامل ..
ويبقى أن نجد فى هذه المنطقة شوارع تحمل أسماء غريبة مثل شارع الشيخ العبيط
وشارع الشيخ يوسف فما هى حكاية هذين الشيخين وأين هما من شوارع جاردن
سيتى .. ؟!

ميدان الشيخ يوسف صاحبه شيخ منصر !!

فى شارع قصر العيني - وهو أكثر شوارع القاهرة أهمية وازدحاما يلمح المارة بين
العمارتين رقم ٩٨ ورقم ١٠٠ ضريحا فى الفراغ بينهما ، ومدخلا خاصا يعرفه العامة باسم
ضريح الشيخ يوسف وعلى بعد خطوات نجد ميدانا يحمل نفس الاسم : ميدان الشيخ
يوسف .. وحده الشرقى شارع قصر العيني بعد أمتار قليلة من ميدان التحرير . ثم
وعلى سور قصر وزارة الخارجية تجد لافتة تحمل اسم .. شارع الشيخ العبيط !! . فما
هى حكاية هذين الشيخين حتى نضع اسميهما فى واحد من أرقى أحياء القاهرة : حى
جاردون سيتى ، أو حى السفارات .. ؟

✻✻ الشيخ يوسف كان والشيخ صالح أبو حديد وثالث لهما من اللصوص وقاطعى
الطرق . وكان يتخذ من درب سعادة ميدانا لسرقاته قرب باب الخلق ويرتدى زى

الدرأويش ، وكان العامة يعتقدون أن له بركات . وكان يجلس على « الخليج المصرى » شارع بورسعيد الآن كلما حلَّ الليل ، فإذا مر شخص بمفرده ارتفع صوت الشيخ قائلاً : يا واحد فيفهم أعضاء عصابته أنه بمفرده فينقضون عليه ويسرقون ما معه ثم يقتلونه . وعندما ضج الناس نصبت الشرطة له كمينا وضبطوه متلبساً هو وعصابته ، ولما عذبوهم اعترف هذا الشيخ على زميلين له أولهما الشيخ يوسف . وثانيهما الشيخ صالح أبى حديد . ثم قتلت الشرطة شيخ درب سعادة هذا . أما الشيخ يوسف فقد لجأ إلى « لآظ أوغلى بك » الوزير الأول للوالى محمد على باشا . وكان يحمل لقب كتخدا مصر . وهو لقب يحمل معنى نائب الحاكم ومتصرفه ، فعفا لآظ أوغلى عن الشيخ يوسف .

*** وعندما مات الشيخ يوسف بنى له لآظ أوغلى مقبرة وضريحاً دفن فيه الشيخ يوسف . . وأيضاً محمد بك لآظ أوغلى !! وعندما أنشئ حتى جاردن سبتى أطلقوا اسم صاحب الضريح على الأرض المجاورة له فصار يعرف باسم ميدان الشيخ يوسف وتتفرع من هذا الميدان ثلاثة شوارع تحيط بالعمارتين المذكورتين فوق الضريح .

وإذا كان اسم الشيخ قد ظل على الميدان إلا أن الشارع الذى كان يحمل اسمه تغير ليحمل الآن اسم الصحفى الوفدى الكبير عبد القادر حمزة باشا صاحب جريدة البلاغ الوفدية المولود عام ١٨٨٨ م والمتوفى عام ١٩٤١ م . وأنشأ البلاغ عام ١٩٢٣ وعطلت مراراً لمواقفها الوطنية ضد الانجليز والسراى واستمرت فى الصدور حتى عام ١٩٥٣ .

أما زميله الشيخ « اللص صالح أبو حديد » فقد احتفى بمطربة مشهورة فادعت أنه مجنون وقيدته بالسلاسل . بعد أن عقل لسانه وعجز عن النطق من الخوف . ثم أشيع أنه يتحدث بالغيب عن طريق من حوله فأخذ يزوره الأمراء والنساء والأعيان وأتخفوه بالهدايا والتدور !

ثم أنشأ الخديو إسماعيل جامعاً قرب جامع الحنفى يحى الحنفى والناصرية وأوقف إسماعيل على الجامع ومدرسة بجواره ٤٠٠ فدان بالجيزة وعدة دكاكين ومنازل ومقاه أنشأها بجوار الجامع وجعل نظارة الوقف لديوان الأوقاف عام ١٨٧١ .

*** وهكذا تحول اللص : الشيخ يوسف إلى ضريح ومزار وشارع وميدان . وتحول زميله اللص الثانى الشيخ صالح « أبو حديد » نسبة إلى القيود الحديدية التى كانت تسلسل قدميه إلى جامع فى حى الحنفى . وهو الشيخ اللص المشعوذ الذى كان ينام على الفراش لا يتكلم ويخرج من فمه أصواتًا غير مفهومة فتقول المرأة التى كانت تجلس على مقربة من رأسه إنه يقول كذا وكذا مثل : الغائب يحضر ، والقضية تكسب ، وفلانة تتزوج . . وكل حاضر يفسر هذا الكلام على هواه . . إلى أن مات فأقام له الخديو إسماعيل مسجدًا مازال قائمًا فى حى الحنفى والناصرية . وما حدث لهذين الشيخين يمثل ما كان يحدث من المصريين الذين تستهويهم الخرافات والمشعوذات .

ولكن ماذا عن حكاية الشيخ العبيط ؟!

الشيخ العبيط .. على قصر وزارة الخارجية :

للمصريين عشق - بل هوى - غريب وهوس بالغيبيات . وهم يعشقون الأولياء ، ويجعلون من كل طيب وليًا . حتى ولو كان ماضيه يحمل الكثير من الخطايا . . وإذا كان للشيخ اللص الشيخ يوسف ميدان وضريح فى جاردن سىتى ، وللشيخ اللص - زميله - المشعوذ جامع !! فإن فى القاهرة شارع بل وجزيرة تحمل اسم : الشيخ العبيط !! تمامًا كما نجد !! قنطرة الذى كفر !! « عند خليج أمير المؤمنين » شارع بورسعيد حاليًا . .

*** وجزيرة العبيط هذه هى الجزء الجنوبى من جزيرة الزمالك أى فى نفس موقع دار الأوبرا الجديدة التى حلت محل أرض المعرض سابقًا . وكان هذا الجزء يعرف باسم الجزيرة الوسطى لتوسطها بين جزيرتى الروضة والزمالك قبل أن يتصل هذا الجزء بجزيرة الزمالك ، بل إن جزيرة العبيط سميت جزيرة تجاوزًا لانحصارها بين مجرى النيل ومجرى الخليج الناصرى . .

ثم اشترى الخديو إسماعيل ما كان بجزيرة العبيط من منازل وقصور ، وبدأ فى بناء « سراى الإسماعيلية الكبرى » وكان فى نيته بناء قصرين . إلا أنه اكتفى بقصر واحد هو سراى الإسماعيلية الصغرى - تكلفت ٢٠١٢٦٠ جنيهًا ، وأوقف بناء السراى الكبرى -

في أرض العبيط - بعد أن أنفق على أساساتها ٣٨٨٢٠ جنيهًا . وموقع سراي
الإسماعيلية الصغرى الآن مجمع التحرير وما أمامه من حدائق إلى شارع كوبرى قصر
النيل . .

*** وكان للشيخ العبيط مسجد ، دخل ضمن السور الغربى لسراي الإسماعيلية
الصغرى قرب كوبرى قصر النيل القديم . وغير بعيد عن الجامع الطيرسى . ولم يكن
بجامع الشيخ العبيط مكان للوضوء . . ولكن دفن فيه الشيخ العبيط وشيخ آخر اسمه
الشيخ زيدان . وموقع بناء جامع العبيط الآن جامع عمر مكرم . ويصل إليه من
الشارع الذى يطل على السور الشرقى لقصر وزارة الخارجية . ولهذا حمل هذا الشارع
اسم : شارع الشيخ العبيط . وتغير مع هدم المسجد وبناء مسجد عمر مكرم مكانه
الى : شارع جامع عمر مكرم . . وشتان بين اسم الشيخ العبيط مجهول الهوية والسيد
عمر مكرم الزعيم الشعبى الذى قاوم الحملة الفرنسية على مصر وقاد ثورة القاهرة
ضدها ، وأحد الذين نَصَبوا محمد على باشا حاكمًا على مصر . . ونحن الآن نجد لافتة
الشارع مكتوبة هكذا : شارع جامع عمر مكرم . سابقًا الشيخ العبيط . .

*** أما فى الناحية الغربية من قصر وزارة الخارجية فكان هناك شارع يحمل اسم
شارع الشيخ بركات ، وهو الذى تغير إلى شارع كمال الدين صلاح الدبلوماسى المصرى
الذى سقط شهيدًا وهو يؤدى دور المراقب المصرى لعملية استقلال الصومال .
واستشهد بسبب الخلافات القبلية والصراعات الدولية هناك . . تمامًا كما يحدث الآن
فى الصومال !!

وحكاية المشعوذين والأسماء الغريبة على شوارعنا تجعلنا نطرح قضية أسماء الشوارع .
وضرورة إعادة النظر لاستبعاد الغريب منها والشاذ مثل هؤلاء الشيوخ اللصوص :
الشيخ يوسف والشيخ صالح . . والشيخ العبيط . . بينما أبطال مصر ورجالها الذين
قادوا نضالها بعيدين عن ذكرى الأمة وذاكرة الشعب . .

وما دمنا فى جاردن سبتى فما هى حكاية « القصر العينى » ومن هو هذا العينى الذى
وضعنا اسمه على واحد من أهم شوارع القاهرة ؟!

شهاب الدين أحمد صاحب قصر العيني !

غير بعيد عن قصر الحكم « قصر عابدين » ومباني الوزارات بما فيها مجلس الوزراء نفسه . . ثم البرلمان سواء مجلس الشورى القديم الذى احتلت موقعه وزارة الأشغال . . ثم عاد لمجلس الشورى الجديد . . غير بعيد عن كل هذا يقع شارع قصر العيني ، الذى ينطقه البعض خطأ : القصر العيني . . ما هى حكاية هذا الشارع الممتد من عند فم الخليج والسواقي وسور العيون إلى ميدان التحرير ، الاسماعيلية سابقاً . .

*** بداية هو قصر أنشأه شهاب الدين أحمد بن عبد الرحيم ابن قاضى القضاة الحنفية : بدر الدين محمود . . العيني !! وبدر الدين هذا أصله من عيتاب شمال مدينة حلب وموقعها الآن داخل الأراضى التركية . . ومن عيتاب هذه ينسب العيني . . وقد تولى بدر الدين العيني هذا « الحسبة » كما تولى قضاء الحنفية عدة مرات . وكان مقرباً للسلطان المملوكى المؤيد شيخ وتوفى الشيخ بدر الدين العيني عام ٨٥٥ هـ . ودفن بمدرسته المعروفة باسمه أى المدرسة العينية بشارع محمد عبده خلف الجامع الأزهر .

*** وتزوج ابنته عبد الرحيم من ابنة خوند الأحمديّة التى ولدت له شهاب الدين أحمد الذى بنى قصر . . العيني . .

وارتفع شأن أحمد العيني هذا فى عهد السلطان خوشقدم فأنعم عليه عام ٨٦٩ هـ «بإمارة مائة تقدمة ألف» وهى أعلى الرتب العسكرية ثم جعله أميراً للمحمل ، أى للحج . ثم عين مسئولاً عن اسطبلات السلطان . .

*** وفى عام ٨٧١ هـ - ١٤٦٦ م أنشأ قصرًا عظيمًا على البحر أى النيل . إذ كان عامة مصر وبسبب اتساع نهر النيل يسمونه « البحر » وذلك بمنشية المهرانى نسبة للأمير يلباى المهرانى أيام الظاهر بيبرس الذى يعتبر أول من عمر هذه المنطقة بعد أن تحرك مجرى النيل عنها غربًا لتصبح أرضًا خصبة . وكان موقعها بين فم الخليج وقصر العيني الآن .

وعندما اكتمل بناء هذا القصر دعا صاحبه أحمد العيني سلطان البلاد السلطان

خوشقدم لافتتاحه وزيارته . واستجاب السلطان فزار القصر « وتفرج على البحر »
وقضى يوماً سلطانياً بديعاً ، ثم أنعم على أحمد العيني برتبة الإمارة العسكرية وأصبح
قائماً بأمور السلطنة مع زميله الأمير خير بك . .

❖❖❖ وكما يقول المؤرخون أدار له الحظ « ظهر المجن » وبعد أن كان يطلق عليه لقب
عزيز مصر حتى طمع في أن يصير سلطاناً تغيرت الأحوال عندما تولى الأشرف قايتباي
السلطنة عام ٨٧٢هـ فقبض عليه وضربه السلطان قايتباي بيده ٢٠ ضربة عصا حتى
أغمى عليه ونهب العامة قصره أثناء القبض عليه . وبعد أن وعد السلطان بسداد ٢٠
ألف دينار كل شهر أفرج عنه . ولكن سرعان ما أعيد القبض عليه لتأخره في السداد .
وظل العيني بعيداً عن الوظائف العامة وإن ظل مقرباً من السلطان كواحد من الأعيان
إلى أن توفي قايتباي وتولى قانصوه الغوري السلطنة فقبض عليه وألزمه بسداد بعض
الأموال . ولكنه هرب إلى مكة ثم إلى المدينة فأرسل الغوري من يأتي بالعيني مكبلاً
بالسلاسل والحديد .

ولكن أحمد العيني مات بالمدينة المنورة ودفن في البقيع عام ٩٠٩هـ ليصبح قصره من
أُملاك الدولة . وبسقوط الدولة المملوكية وتحولها إلى ولاية عثمانية منذ ١٥١٧م ، استولى
بكوات المماليك على القصر وحولوه إلى مكان للنزهة ، وأحياناً إلى قصر للضيافة ، أو إلى
مكان للحبس الجبري أى يقيم فيه من يغضب عليه من الأمراء . . وأحياناً إلى مجلس
للوالى نفسه إذا عزل أمراء المماليك . .

❖❖❖ وفى أواخر عصر بكوات المماليك كان كبيرهم : إبراهيم بك الكبير ينزل في قصر
العيني أغلب وقته حتى وصلت حملة بونايرت إلى مصر عام ١٧٩٨م ليدخل القصر
مرحلة جديدة من تاريخه .

وفى أواخر عصر بكوات المماليك ، وقبيل وصول حملة بونايرت ، حدثت فتنة كبيرة
بين المماليك ، فهاجموا قصر العيني ونهبوا ما فيه وخربوه ثم أحرقوه . . ولكن مع قدوم
حملة بونايرت ١٧٩٨ استعمل بونايرت قصر العيني كمستشفى لجنود وضباط الحملة
. . ولما انقضى الشاب الأزهرى القادم من حلب : سليمان الحلبي على كليبر في مقر
قيادته بقصر محمد بك الألفى في الأربكية وقتله بالخنجر ، نقل الفرنسيون جثمان كليبر



الجنرال كليبر خليفة نابليون بونابرت في حكم مصر . اغتاله سليمان الحلبي في قصر الألفى ، ودفنوه
في حديقة قصر العينى

الذى ينطقة البعض خطأ « كليبر » إلى حديقة هذا القصر ودفنوه فيها . . ثم نقلوا الجثمان معهم عند جلائهم عن القاهرة يوم ١٥ يوليو ١٨٠١ .

❖ وأهل القصر إلى أن أنشأ محمد على باشا مدرسة حربية عام ١٨٢٥ فى هذا القصر . . ثم بدأت مسيرة قصر العيني مع الطب والأطباء . ففى عام ١٨٣١م أمر محمد على باشا بإلحاق شخصين من أغوات الحريم بمدرسة الطب فى أبى زعبل التى أنشأها كلوت بك لتعليمهما الطب والجراحة لخدمة سيدات العائلة الحاكمة : أحدهما محمد الشافعى الذى أرسله محمد على باشا لاستكمال دراسة الطب فى فرنسا بعد ذلك . . وأصبح أول مصرى يتولى رئاسة مدرسة طب قصر العيني . .

❖ وفى عام ١٨٥٦ أصدر والى مصر سعيد باشا قرارا بإنشاء مجلس خصوصى للطب . ثم صدر قرار بإنشاء مدرسة الطب فى قصر العيني ملحقة « باستبالية قصر العيني » لتعليم الطب والجراحة والعلوم الطبية والصيدلية ، وافتتحت رسميا فى أول سبتمبر ١٨٥٦ على أن يكون تلاميذها « ممن يحسنون القراءة والكتابة » وسنهم نحو ١٥ سنة . . وتقرر أن يكون عدد تلاميذ مدرسة الطب ٨٠ منهم ٦٠ لتعليم الطب والجراحة ليكونوا « حكماء » ويأله من اسم . . و٢٠ لتعليم العلوم الطبية والأجزاء ليكونوا « أجزاجية » أى صيادلة . وكانت مدة الدراسة ٥ سنوات يمنح الدارس خلالها ٧٥ قرشا شهريا كمصروف مع توزيع الكساوى والمأكولات عليهم فضلا عن الإقامة !!

❖ وقدم كلوت بك « مدير المستشفى والمدرسة » لائحة لإدارة المدرسة تنظم قواعد القبول والدراسة . وكان كل دارس يحصل على « كسوة من الجوخ الأزرق . وكسوتين من البفطة سنويا وطربوش وحزام ومركوبين وثلاثة ألبسة وثلاث طواق !!

❖ وليس هناك شك فى اهتمام محمد على بالطب والصحة العامة ، فقد أسس « مجلس الصحة والاستبالية » عام ١٨٢٧ الذى حول إلى مجلس الصحة العمومية عام ١٨٣٥ . . وبعد ١٠٠ عام أى فى ١٩٣٥ أنشئت وزارة الصحة فى عهد الملك فؤاد الأول .

❖ وفى عام ١٩٢٥ عند إنشاء جامعة فؤاد الأول - محل الجامعة المصرية التى أنشئت



كلوت بك ناظر مدرسة الطب [طب قصر العيني] ومفتش عموم الصحة . وهو فرنسي الأصل
وأعطى لمصر الكثير ، ويعتبر رائداً للطب المصري الحديث .

عام ١٩٠٨ - انضمت مدرسة الطب في قصر العيني إلى الجامعة الوليدة وأصبحت كلية للطب . .

وفي عام ١٩٢٩ تم تخصيص ٤٤ فدانا بجزيرة الروضة لإقامة مستشفى جديد وكلية طب جديدة . وسميت المستشفى باسم فؤاد الأول وتولى الاشراف عليها وعلى إنشائها طبيب مصر الكبير الدكتور على باشا ابراهيم الذى كان مديرا للجامعة .

واستمرت عملية البناء إلى ما بعد ١٩٥٢ وعرفت باسم : قصر العيني الجديد . ثم تقرر هدم قصر العيني القديم كمستشفى وكلية في السبعينيات . . وتم إعادة بناء مستشفى عصرى جديد وكلية للطب اسمها قصر العيني الجديد . . وهكذا !!

*** وحول منطقة قصر العيني القديم تم إطلاق أسماء مشاهير الأطباء الذين تخرجوا في مدرسة الطب وكليتها على شوارع المنطقة تكريما للعقول المصرية العظيمة التى صنعت مجد الطب المصرى .

الفرنساوى الذى أنشأ كلية الطب :

هو واحد من الأجانب الذين وفدوا إلى مصر فعملوا فيها وخدموا الشعب المصرى فحفظ الشعب لهم هذا الوفاء ، وخلدهم وأقام التماثيل لهم ، وأطلق أسماءهم على أهم شوارع مصر . . من هؤلاء الدكتور كلوت بك . . والكولونيل سيف « سليمان » الفرنساوى ونوبار باشا وغيرهم . . وربما يكون من أهم أسباب نجاحهم حسن اختيار محمد على باشا لهم ، من بين الأجانب الذين وفدوا على مصر . وقد تحدثنا عن سليمان الفرنساوى . . وعن نوبار باشا والآن نروى حكاية كلوت بك صاحب الشارع الشهير الذى يربط ميدان العتبة الخضراء بميدان باب الحديد . .

وإذا ذكرنا اسم مستشفى قصر العيني . . أو تحدثنا عن كلية الطب فإن أول ما يتبادر إلى الذهن - وفورا - اسم كلوت بك هذا الطبيب الفرنسى الأصل الذى ارتبط به هذا المستشفى كما ارتبطت باسمه أول كلية للطب في مصر والشرق . .

*** ولد أ . ب كلوت بك في مدينة جرينوبل الفرنسية عام ١٧٩٣ أى بعد ٤ سنوات فقط من اشتعال الثورة الفرنسية . ولد من أبوين فقيرين . وتعلم الطب . .

وحتى يدبر تكاليف الدراسة اشتغل « صبي حلاق » في مرسيليا . وعندما أتم دراسته عين طبيباً ثانياً في مستشفى الصدقة في مرسيليا . ثم عمل طبيباً حرّاً إلى أن تعرف على تاجر فرنسي كان محمد على باشا قد كلفه بالبحث عن طبيب للجيش المصري . وهكذا جاء كلوت بك إلى مصر عام ١٨٢٥ فعهد إليه محمد على بتنظيم الإدارة الصحية للجيش ، والتي كانت قد أنشئت قبل ذلك بخمس سنوات . . . وصدر قرار بتعيينه رئيساً لأطباء الجيش . وجاء قرار تعيينه هكذا « يعين الحكيم كلوت بك مفتشاً لعموم الصحة بديوان البحرية والجهادية » وزارة الحرية والبحرية « وعضواً بمجلس شورى الأطباء وناظرًا لمدرسة الطب البشرى والبيطرى ، مع مباشرة ورؤية أعمال الحكماء « الأطباء » والأجراجية « الصيدالة » ويؤكد عليه برؤية تلك المصالح المحالة لعهدته . . . » .

*** وفي هذا الفترة كانت الخانكة مقرّاً للمعسكر العام للجيش المصري ، فأشار كلوت بك على الوالى محمد على باشا بإنشاء مستشفى عسكري في أبى زعبل بجوار هذا المعسكر . . . وبالفعل وافق محمد على وأنشأ المستشفى الذى أصبح بعد ذلك مستشفى عامّاً لمعالجة الجنود ، ونموذجاً للمستشفيات التى أنشئت بعده . . .

*** وجاءت الخطوة الثانية عندما فكر فى إنشاء مدرسة لتخريج الأطباء من المصريين . ووافق محمد على وتم بالفعل إنشاء هذه المدرسة بجوار المستشفى العسكرى فى أبى زعبل عام ١٨٢٧ . وهى المدرسة التى أصبحت بداية النهضة الطبية فى مصر . وتولى كلوت بك إدارة مدرسة الطب هذه . . .

*** ثم جاءت الخطوة التى ربطت بين كلوت بك ومدرسة الطب وقصر العينى . . . إذ فى عام ١٨٣٧ تم نقل المستشفى والمدرسة إلى قصر أحمد العينى ليدخل تعليم الطب فى مصر مرحلة جديدة ، فأعاد الحياة إلى هذا القصر الذى كان قد تحرب وأحرق خلال إحدى ثورات المماليك . . .

وتوسع كلوت بك فى اهتمامه بالصحة . . . وحول المستشفى من مكان لعلاج الجنود وحدهم إلى علاج كل المرضى . . . وعند بداية عهد المدرسة عام ١٨٢٧ ، اختار كلوت بك مائة تلميذ من طلبة الأزهر ، واختار عددًا من خيرة أطباء فرنسا وأوربا ليدرسوا

للطلبة علوم التشريح والجراحة والباطنة وعلوم الصحة والصيدلة والطب الشرعى والطبيعة والكيمياء . . وأمراض النساء . . وكان بالمدرسة أساتذة يدرسون اللغة الفرنسية للطبة الأزهرين ، وجعل لكل أستاذ معيدا مترجما إلى العربية . . وتلك كانت بداية كلية طب قصر العيني .

. . وبعد خمس سنوات من بدء الدراسة بمدرسة الطب تخرجت الدفعة الأولى من الأطباء المصريين الأزهرين في الأصل . وكانت المدرسة مازالت في موقعها الأول في «أبو زعبل» وتم توزيع هؤلاء الخريجين الأول على المستشفيات وعلى وحدات وفرق الجيش المصرى ، ومن هؤلاء تم اختيار عشرين طبيبا ليعملوا معيدين للدروس ، إذ كان الأستاذ الأجنبى يلقى درسه باللغة الفرنسية ثم يتولى هؤلاء إعادة إلقاء الدروس بعد ترجمتها إلى العربية . ومن هنا جاء اسم « معيد » كما تم اختيار ١٢ من النابهين وتم إرسالهم في بعثة إلى فرنسا لإتقان علوم الطب والصيدلة ولما عادوا عينوا أساتذة في مدرسة الطب .

*** وفى عام ١٨٣٧ تم نقل المدرسة والمستشفى إلى قصر العيني لتكون أقرب إلى القاهرة . . وإلى الخدمة العامة وألحقت بمدرسة الطب هناك مدرسة خاصة للصيدلة . تم مدرسة للقابلات والولادة واختيرت لها مجموعة من الفتيات الحبشيات والسودانيات تعلمن العربية وفن الولادة وتم إنشاء مستشفى صغير خصص للنساء قبل أن ينقل الكل إلى قصر العيني . . وألحقت بالمدرسة الأولى حديقة زرعت بكل النباتات النادرة والأعشاب الطبية التى هى أساس علم « الأجزاء » أى علم الصيدلة .

*** ومع عصر « الردة » أيام عباس الأول ، اضمحلت مدرسة الطب في قصر العيني فترك كلوت بك مصر وعاد إلى فرنسا . . ثم في عهد سعيد باشا تم إغلاق المدرسة وتوزيع طلابها للعمل في الجيش . ولكن « سعيد باشا » سرعان ما قرر إعادة فتحها ، فاستدعى كلوت بك من فرنسا وأعيد فتح المدرسة في احتفال كبير عام ١٨٥٦ . غير أن صحة - ملك الصحة - سرعان ما تدهورت فعاد إلى بلاده بعد عامين وأقام في فرنسا إلى أن مات في أغسطس ١٨٦٨ .

*** ولم تقف جهود كلوت بك عند حد مدرسة الطب . بل أنشأ مجلسا للصحة

البحرية في الاسكندرية . وعندما انتشر وباء الجدري اقترح استعمال أسلوب التطعيم لينقذ ٦٠ ألفاً من المصريين الأطفال كانوا يموتون كل عام . . وعندما انتشر وباء الكوليرا في مصر عام ١٨٣٠ اشرف على مقاومته هو وتلاميذه وكافأه محمد على بالإنعام عليه بلقب « بك » ليعرف باسم كلوت بك . وعندما ظهر وباء الطاعون في مصر عام ١٨٣٥ بذل جهوداً كبيرة في مقاومته فأنعم عليه محمد على برتبة « أمير اللواء » .

*** وقد ترك كلوت بك مؤلفات عدة في الطب . ولكن من أهم ما تركه كتاب رائع هو « لمحة عامة إلى مصر » تم ترجمته للعربية وصدر في ٣ أجزاء ، وهو بلا جدال أهم مرجع في وصف الحياة المصرية خلال الفترة التي تلت الحملة الفرنسية على مصر ، وطوال عهود محمد على وعباس وسعيد . وقد كرمته فرنسا فمنحته وسام اللجيون دوتور من درجه فارس وعلى عدة أوسمة من درجة كومان دور والدكتوراه في الطب والجراحة وأصبح عضواً في أكاديمية الطب الملكية في باريس وأكاديمية العلوم في نابولي .

*** وإذا كان كلوت بك له تمثال نصفي في كلية الطب فإنه ضمن خطة شق الشوارع العصرية التي أشرف عليها على باشا مبارك في زمن الخديو اسماعيل . . تقرر عام ١٨٧٢ شق شارع يربط محطة السكة الحديد بالأزبكية ويربط شارع محمد على بالقلعة . . وأطلق على هذا الشارع اسم كلوت بك بعد تمام شقه عام ١٨٧٣ . (ولاحظوا الربط بين اسمي محمد على . . وكلوت بك) حتى يتمكن القادم بالسكة الحديد من اختراق شارع كلوت بك إلى ميدان العتبة - صرة العاصمة - ثم إلى شارع محمد على . . ثم إلى القلعة . .

*** وأصبح شارع كلوت بك محوراً رئيسياً للمرور . ومُدَّ فيه خطٌ للترام وبُنيت البيوت على جانبيه على طراز البواكي لحماية المارة والمحال . . ولكن للأسف تحول الشارع إلى منطقة للبقاء عندما كان مسموحاً به رسمياً قبل أن يلغى نهائياً في نهاية الأربعينيات .